الزوجة المثالية

قاسم بن مهني



الدار التونسية للنشر

قاسم بن مهنّي

الزّوْجة المثاليّة

الطبعة الثالثة

الدار التونسية للنشر

ISBN : 9973-073-6

الـزوجـة المثـاليـة

العمُّ سالمٌ رجلٌ طويلُ القامـةِ ، نحيلُ الجسمِ، مُمْتَقِعُ الوجهِ ، أصْفَرُهُ فكأنَّه الأُقْحَوَانُ ، قد كَثُرت فيـه التجاعيدُ فكأنَّها أَتْلامٌ عميقةٌ شقَّتْها مَحاريثُ المصائبِ والأسْقامِ ، أبيضُ الشعر ، أدْرَدُ الفمِ مُقوّسُ الظَّهرِ . فيَبْدو في حالتهِ هذه وكأنَّه هرِمٌ يَدْ نُو من القبر رُوَيْدًا رُوَيْدًا ، في حين أنَّه لم يتجاوزِ العقدَ الخامسَ من عُمُر ه .

والسببُ في كلِّ هذا الضَّعْفِ . وهذه المظاهرُ المفْجِعَةُ الداءُ العُضالُ الذي أصابه . والذي عجز الأطِبَّـاء ، كلُّ الأطباء بالجهة عن استِئْصَاله، فكمْ طبيبًا فَحَصَهُ ، وكم دواءً تجـرَّعـهُ أَوْ استَعْمَله ، ولكـنَّ المـرضَ اسْتمرَّ فـي سَلِّ جسْمِه الهزيـلِ النَّحيلِ سَلاًّ . وفي بَرْيِهِ بَرْيًا . حتَّى أصْبحَ كالعُودِ الأصْفرِ الذَّابلِ . وَلَوْ لاَ معاملةُ زوجتِه الحسنةِ له والصفات الحميدة التي اتصفت بها لَرَدَّدَ :

سئِمتَ من العيش عيشِ الألـم   ورُحتَ أُنـاجي طُيـوفَ العَـدَم

ولكنَّ هذه الزوجةَ الحنونَ العطوفَ ، قد جعلت مـن هـذا الـزوج اليائسِ القانطِ مُتفائِـلاً ، راغبـًا فِي الحياةِ ، غيرَ مُفكِّرٍ في دائـه ، إذْ كانت تحبُّه كلَّ الحبّ ، وتعطفُ عليه كـلّ العطـف • وتُـوَاسِيـهِ كـلَّ المواسَاةِ ، وتُلاطفُهُ كلّ الملاطفةِ • ولا تترُكهُ يشعُر بألمٍ أو ضيقٍ ولذلك كان يردِّد لها :

ـ لولاكِ يا خديجةُ لكانتِ الحياةُ جحيمًا • وبِوُجُـودكِ قُربي يُصبِـحُ الجحيمُ جَنَّةً •

وهـذا الشّعـورَ السّامي الـذّي تَشعُر بِهِ خديجةُ نحوَ زوجِها دفَعَه إلى القِيَامِ بعملهِ رغْمَ ما يشعُر بـه من ضُعْفٍ ووَهَن وألَم • ومَـا هُـوَ عَملَه يَا تُـرَى ؟

إنّه حائكٌ يحوكُ الأنْسِجَـةَ الصُّوفِيةَ ويبِيعُها في سُوقِ القَـرْيَـةِ • ويشْتَرِي بثمنِهَا قُوتَ عِيالـه : زوجتِهِ خَديجةَ وابنتـه فَاطمةَ وابنِـه محمـودٍ •

وقد تشتدُّ العِلَّةُ بالعمّ سالم بعضَ الأيّام كُـلّ الإشتداد فيَعْجِزُ عـن العمَل ويُلازمُ غرفَتَه متألِّماً مُتجرِّعًا الأدْوِيـةَ • فتقُـوم زوجتُه خديجـةُ بتَمْـرِيضِـهِ . وتهتَـمُّ بـه كـلّ الاهتِمام وتغمُره بعَطْفهـا الفيَّاضِ فينسَى الالم والحزن ، ويشعُر بنوعٍ من الرِّضا لا يُدركه إلاّ أمثالُـه ، وبكثيرٍ من السّعادة رغْم ما يقاسِيه من آلام مُبَرِّحَـة .

وَفي هذهِ الايّامِ التِي تشتَدّ
فيها العِلّة بالحائِكِ ، ويصْبِحُ
عَاجِزًا عَـنِ العَملِ ، تُضَاعِفُ
الزَّوْجَةُ نَشَاطَهَا لتتحصَّل على
ما يسُدُّ رمقَ الأسْرةِ من طعامٍ
ولتشْترِيَ ما يلزَمُ الزوجَ العليلَ
من دواءٍ . ولذلك كانت تُرْهِقُ
نفسَها في الغَزْلِ . تَغزِل السَّدَى
وَاللُّحْمَةَ آناءَ اللّيلِ وَسحابةَ



النّهار ، وتتركُ ما يكفي لتشْغِيل زوجِها ٠ وتبيــعُ ما زادَ عـلى الحاجـة وتشتَري بثمنه طعَامَ الأسرةِ ودواءَ الاب المريض ٠

ولكنْ قد تمرّ أيّامٌ يكون فيها الزوجُ عاطلا عن العمـل لأنّـه طريـحُ الفراشِ ، والزوجةُ غيرُ قادرةٍ على الغَزْل لأمر أو لآخر ٠ ومع ذلك فإنّ هذه الأسرة لم تَبِت ولو ليلةً بدون طعـامٍ ٠ وهــي الأسرة الفقـيرةُ المحرومةُ ، فَمِـنْ أين يَأتِيها هـذا الطعامُ ؟

هلْ يَجُودَ الجِيرانُ عليهم بما يأكلُون ؟

إنّ خديجةَ قد قدّرتِ الأمر ، وفكّرتْ في هذه الأيّام السّوداءِ ، ولذلك كانت إذا عاد زوجُها مَحَمّلا بالموادّ الغذائيةِ كالقمْح والشعيرِ والحبـوب تأخذُ من كلّ مادةٍ حَفنةً وتضعُها في خابيةٍ خاصة فهـذه للسّمِيد وتلك لِلْعَجِين ٠ أمّا هذهِ فهي لِلْقَمْح ...

وهي لمْ تعلمْ بهذا العملِ أحدًا ٠ وكانت تفعلُ ذلك لِتَجِدَ القُوتَ أيّامَ العُسْرِ ٠ وكانت تقولُ وهي تَدّخِـرُ هذهِ المـوادّ :

خَبّيءْ قِرْشَكَ الأبْيَضَ لِيَوْمِـكَ الأَسْوَدِ ٠

وأيّامُ هذه الأسْرةِ السوداءُ أكثرُ بكثيرٍ من أيامها البيضاء ٠ ولكـنّ الزوْجة المدبّرة استطـاعت بحُسنِ تصرّفِهَا أن تجعلَ ابنيْهما لا يَشعُرَانِ بحِرْمَانٍ في أي وقت من الاوقات ٠ بل كانت تغمُرهُمَا بحُبّهـا وعَطْفِها . وتُعْطِيهما كلّ ما يحْتَاجَانِ اليـه ، و بذلـك كَانَـا لا يشعُـرَانِ بعُسْرٍ أو ضِيق في أيّ يَوْمٍ ٠

وكمْ تكونُ فرحتُهما عظيمةً يومَ ذهابِ أبيهما الى سُوقِ القرْيَةِ لبَيْعِ منسوجَاتِه ، إذ يعرفَانِ أنَّه سيشْتَرِي لهما كلَّ ما تَشْتَهيهِ الأنفُسُ وتلذُّ لهُ الاعْيُنُ مِنْ مآكِلَ وملابِسَ وهَدَايَا ، فيشعُرَانِ وكأنَّهما في عيدٍ ، وَلِمَ لاَ ؟ فهُما سيَلْتَذَّانِ بأكلِ أنواعِ الحلَويَّاتِ ٠ وشتَّى الفَوَاكِهِ والغِلاَلِ ٠ وستُقدِّم لهما الملابسَ والهدَايَا ٠

تَخَيَّلِ العَمَّ سَالما مُمتَطيًا حماره ، عائِدًا إلى بيْتِهِ حاملا الخيراتِ كلَّها ، وتصَوّرْ فاطمةَ ومحمودًا يترقَّبان قدومَه ، إنَّهما يقِفان عند مدخلِ الحديقةِ ينتظِرَان عَوْدتَهُ ، وبمُجرّد أن تقع عليه العُيونُ يهرعُ إليه الطّفلانِ مُسلِّمَيْنِ فرِحَيْنِ ٠ وقلْباهُما يهفُوَانِ إلى مَا فِي القُفَّةِ ، ويسيرُ الابْنَانِ مُحَاذِيَيْنِ الحِمَارَ ٠ وعندما تُشاهِدُهُم خدِيجةُ تَهرَعُ إلى زَوْجِها مسْتَقبلةً مُرَحِّبةً قائِلةً :

ـ كيف حَالكَ يَا سِي سَالم ؟

وتُسَاعِدُهُ على النزُول ، فيُسَلِّمُ لها مقْوَدَ الحِمارِ ويذهَبُ منْ فَوْرِهِ إلى الدَّار ليَسْتَلقيَ مُتهالِكًا عَلَى حَصيرٍ بالٍ إذ أنْهكَهُ التَّعبُ ، تَعبُ البَيْعِ ونَصَبُ السَّيْرِ ، وبعد أَنْ تَتولَّى هِيَ إنْزَالَ مَا عَلَى ظَهْرِ الحِمَارِ ، تربِطُهُ ، ثمَّ تَنْقِلُ القُفَّةَ إلَى المَطْبَخِ فيجتَمِعُ حَوْلَها ولدَاهَا وهُمَا يَتَسَاءلاَنِ :

ـ مَا اشْترَى لنَا أَبِي اليَوْمَ ؟

ـ هَلْ كَانَ ثَمنُ ما بَاعَ باهِضًا ؟

ـ هَلِ الهدَايَا كثِيرَةٌ ؟

وَتَشرَعُ الأمُّ فِي أَخْذِ المُشْتَرَيَاتِ مِنَ القُفَّةِ ، فَتَرْتَفِعُ أصْوَاتُ الطِّفلين من حينٍ إلى آخــر :

ــ إنه اشْتَرى لنا السَّمكَ .

ــ ما أَجْمَلَ هَذَا القَمِيصَ . إنَّــهُ لمحمودٍ . أمَّا هذا الحِذَاءُ فَهْوَ لي .

ــ وما وُضِعَ في هَذَا الظَّرْفِ يا أمَّاه ؟

وتفتحه الأمّ فإذَا به الحلْوَى .

ويستأذنُ الابنان أمهما في أن يأخذ كلٌّ منهُمَا قطعةً مِـنَ الحلْـوَى . فتسلِّمَ لكلِّ واحدٍ منهُمَا قطْعَتَيْنِ قَـا ئِلَـةً :

ــ هذهِ لحسْنِ تَرْبيتِكُمَا .

ــ وهذهِ اسْتجابَةٌ لِطَلَبِكُما .

ويذهب الابنُ مَزْهُوًّا لِيُلَاعِبَ أترا بَهُ ، وتمكـثُ البنتُ بجـوارِ أمّهـا لتساعِدَها على القيام ببعْضِ الأعمالِ المنزليةِ، وإذا أرادت ادّخار نصيب من كلّ ما اشتَرى زوجُهـا . تطلبُ من ابنَتِها الخروجَ من المطبخ وتكلّفها بالذّهاب الى الدار لِتُسلّيَ والدها . وبعد أن تدّخر ما تَشَاء . تـرتّب الباقي على رفّ بالمطبخ . ثم تذهبُ الى الدّار لتقدم لزوجها طعامَه، ولِتُعِدَّ له بعضَ الأدوية . ولتأخذَ المالَ البا قيَ بعد الإنفاق والذي وضعَه الزّوج بالقرب منه على الحصير لما استلقَى عليه اثر عودته من السّوق . لتنفقه خديجةُ حسبَ ظنّه أيـامَ مرضه ، و لكنها كـانت تضعُه فـي حَصَّالـة كبـيرة .

ونتيجة لهذه الرّعايةِ المتواصِلةِ و هـذا العَطفِ الـذى لا مَثِيـلَ لـه ، تحسَّنَتْ حالةُ العَمّ سَالِـمِ الصّحيَّةَ بعد سَنَواتٍ معْدودةٍ بعضَ التحسُّنِ، وأصبح لا ينقطِعُ عن عَمَلِهِ إلاّ أيامـًا قليلةً ، فازْدَادَتْ مَدَاخِيـلُ الأسرةِ وتحسَّنَتْ حالَتُهَا الماديَّةُ ، وكَثرَتِ المدّخراتُ السرّيةُ عند خدِيجَةَ .

وذات يوم استخرجتِ الزَّوْجةُ المالَ مِنْ حصَّالَتِهَا فاذا هو مبلـغٌ هـام فاشترتْ به نِعَاجًا لتَربّيها وتَنْتَفِـعَ بأصوَافِها وألْبَانها وحِمْلانِهَا .

وخرجَ الزوجُ ذاتَ يومٍ بعدَ مرضٍ ألمَّ بهِ ثلاثـةَ أيـّامٍ فشاهدَ أرْبَـعَ نعجاتٍ فى الحقلِ فقال :

ـ نعجاتُ منْ هذه يا خَدِيجةُ ؟

ـ إنهـا لنـا .

ـ نعجاتُنَا ؟ ! منِ اشْتـرَاهـا ؟ ومَتَى ؟

ـ لقد جادَ بِها علينَا جَارُنـا اسمَاعِيـلُ .

ـ باركَ اللّهُ فيه وجَزَاهُ كُلَّ خيْرٍ .

واقتربَ منَ النعجَاتِ وقالَ :

ـ يَبْدُو أَنَّ هذه سَتَضَعُ حَمْلاً عنْ قَريبٍ .

ـ وكيفَ عرفْتَ ذلك ؟

ـ إِنَّهَا كَبِيرةُ البَطْنِ، مُتَدَلِيَّةَ الضَّرْعِ .

ولما شاهدَ مَحْمودٌ واخْتُهُ والدَهُمَاووالدَتَهُمَـا قُـرْبَ النِعَاجِ أَسْرَعَـا اليهما ، وقال محمود :

ـ هَاتان النَّعْجتانِ لِى ، أما هَذِهِ وَتِلْكَ فَهُمَا لِفَاطِمَةَ .

ـ لمَـاذا اخْتَرْتَهُمَا ؟

ـ لانّى أَمِيلُ الى اللَّوْنِ الأَبْيَضِ .



ـ إِنَّ نَعْجَتَكَ هذه سَتَضَعُ لَـكَ حَمْلاً عنْ قريبٍ •

ـ أَحَقًّا ما تَقُولُ يَا أَبِي ؟ هذا مِـنْ حَسْنِ حَظِّي • اذْ سَيُصْبِحُ لِي حَمَلٌ ونَعْجَتَانِ وسَأشْرَبُ اللَّبَنَ •

ـ وهل سَتُعْطِي أُخْتَكَ نَصِيبًا منَ الحَلِيبِ ؟

ـ بِدُونِ شَكٍّ يا وَالِدِي ، إنهـا شَقِيقَتِي الوَحِيـدَةُ المحْبُوبَةُ فَـأَنَـا أُوثِرُهَا على نَفْسِي •



ـ شُكْرًا لك يا وَلَدِى على عواطِفِكَ النَّبيلَــةِ ٠
وذَهَبُوا جَمِيعًــا إلى الــدَّارِ ٠

وَفِي خَرِيفِ هذهِ السَّنَةِ ، نَزَلتِ الامْطَارُ غَزِيرَةً ، فَتَوَقَّعَ النَّاسُ إنْتَاجًا وَافِرًا ، ومَحْصَولاً جَيِّدًا ، وشرَعُوا فى الحِرَاثَةِ ، ووقفَ سالمٌ أمامَ دَارِهِ وهو ينظرُ تارةً الى أرضه البُورِ ، و أُخرى الى حِمارِهِ الهزيلِ ، مُصَعِّـدًا زفراتٍ حارةً أحرَّ من جَمْرِ القَتَاد ، وقال لمَّا شاهدَ زوجتَهُ قادمةً نحوه :

ـ لو كان لنا بِذارٌ لبَذَرْنا أرْضَنَا ٠ ولَتَحَصَّلْنَا على انْتَاجٍ وفِيرٍ ، ولكن أنَّى لَنَا ذَلِكَ، والحبوبُ غَالِيةُ الثَّمَنِ والمالُ مَفْقُودٌ ، اذ كنتُ مَرِيضًا هذهِ الأيَّام ٠

ـ لا تَتَأَلَّمْ يَــا سَيِّدِى سَالِمُ ولا تَتَحَسَّرْ فما دُمْتَ رَاغِبًا فى الحِرَاثَــةِ فاسْتَعِدَّ غدًا لهــذَا العملِ ، وعليَّ بإِحْضَارِ الحبُــوبِ ٠

ـ ومِنْ أيْــنَ ستتحَصَّلِينَ علَيْها ؟

ـ ان اللَّه الذِّى جــادَ علينَا بالمطَرِ ٠ لا يَبْخَلُ علينَا بالحبُوبِ ٠

ـ وَهَلِ السَّمَــاءُ تُمطِرُ الحبُوبَ ؟

ـ إن السَّمَاءَ لاَ تُمطِــرُ ذَهَبًــا ولا فِضَّةً ولا حَبُوبًــا .

ولكنْ مَنْ يعمَــلُ مَعَــوِّلاً علَى رَبِّ السَّمَاءِ فانَّهُ لَنْ يُخَيِّبهُ أبــدًا ٠

ـ أنا لاَ أَشُكُّ فى مَقْدُرَتِــكَ وكفاءَتِــكَ ، ولكنْ أُرِيــدُ أن أعْرِفَ كيف

سَتَتَحَصَّلِينَ على هذه الحبُوبِ ؟

سَأَسْتَعِيرُ البِذَارَ مِنْ أحَدِ الجِيرَانِ .

ـ لاَ أَظُنُّ أنهم يَعِيرُونَكَ شَيْئًا مِنَ الحُبُوبِ فى مِثْلِ هذَا المَوْسِمِ خَاصَّةً وقد ارْتَفعَتْ أثْمَانُ البِذَارِ ارْتفاعًا مُدْهِشًا .

ـ لن يُخَيِّبَ طَلَبِى أحَـدٌ .

ـ سَتَرَيْنَ . ولِكِنْ لماذَا لا تُفَكِّرِينَ فِى بَيْعِ نَعْجَـةٍ .

ـ لَنْ أَبِيعَ نَعْجَةً ، وسأَتَحَصَّلُ علَى البِذَارِ بحَولِ اللّهِ كُنْ مُطْمَئِنًّا يا سِي سَالِـمْ .

نَامَ العَمُّ سَالِمٌ هذِه الليلةَ على هدْهَـدَةٍ مِـنَ الأحْـلاَمِ . مُفَكِّـرًا فـى مَزْرُوعَاتِهِ ، فَرَأَى فى المنامِ زَرْعَهُ قد اخْضَرَّ ونَمَا وأصبحَ يَسُرُّ النَاظِرِينَ، ثم اسْتَحْصَدَ واصْفَرَّ فاذَا السَّنَابِلُ تَمَوجُ على هَبَّاتِ النَّسِيمِ وكَأَنَّها بَحْرٌ من ذَهَبٍ . ولمْ يسْتَفِقْ مِـنْ نومهِ العَمِيقِ اللذِيذِ إلَّا عَلَى نِدَاءِ زَوْجَتِهِ .

ـ قُمْ يا سِيِّدِى سَالِمٌ فَالصُّبْـحُ قَدْ تَنَفَّسَ .

فقام على أَنْشَطِ مَا يكونُ الفتَى ، يَحْدُوهُ أَمَلٌ باسِمٌ ، ويدْفَعـهُ رَجَـاءٌ لاَ يَحَدُّ ، وما ان خَرَجَ مِنَ البَيْتِ حتَّى شَاهَـدَ اكْيَاسَ البِذَارِ ، لَقَـدْ رأى القَمْحَ والشَّعِيرَ والعَدَسَ . وشاهدَ زَوْجَتَـهُ منْهَمِكَةً فى إعْدَادِ الحِمَـارِ للْحِرَاثَةِ لِذَلِكَ لم تَنْتَبِهْ لخرُوجِهِ فقال :

ـ اسْعَدَ اللّهُ صَبَاحَكَ يا خَدِيجَةُ ٠

ـ صباحَ الخيْرِ والصحَّةِ يا سِي سَالِم ٠ كيْفَ أنْتَ ؟

ـ علَى أحْسَنِ حَالٍ ٠

ـ هَلْ كُنْتِ وَفِيّةً بِالوَعْـدِ ؟

ـ وهَلْ هُنَاكَ فِي الدُّنْيـا أوْفَى منْكَ وَعْدًا وَعَهْـدًا ٠ وأَكْثَرُ مِنْـك اخْلاَصًا وتَفَانِيًا ٠

ـ لقدْ أحضَرْتُ كلَّ شَيْءٍ فما عليْكَ إلاَّ أنْ تُبادِرَ بِالحَرَاثَةِ ٠

ـ وهـلْ بـذرْتَ الحبَّ ؟

ـ لقدْ زرَعْتَ القَمْحَ بالجِهَـةِ الغَرْبيَّةِ منَ الحقْـلِ ٠

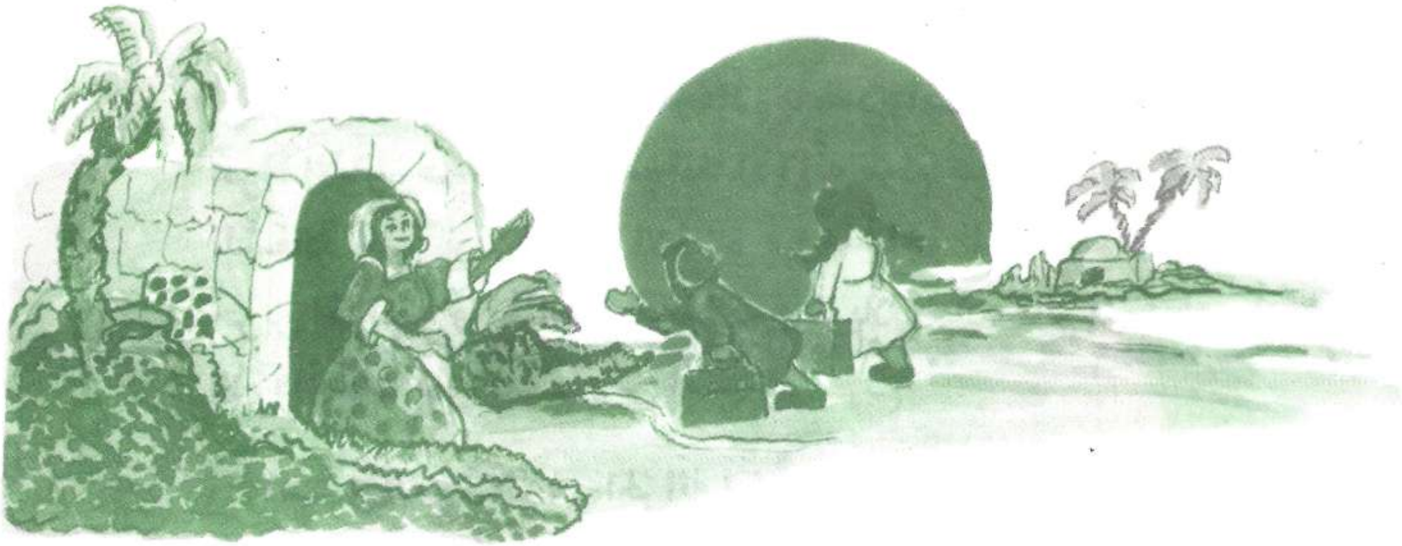
ـ ومَتَى ؟

ـ عِنْـدَ الفَجْـرِ ٠

ـ ولماذَا قُمْتِ بَاكِرًا ؟

ـ لأعْتَنِيَ بولَدَيَّ قبلَ ذهابِهِمَا الى المدرسة ، ثمَّ لِأَغْزِلَ الصَّوفَ أثْنَـاءَ حِرَاثَتِكَ ٠

ـ إنَّ ألْفَاظَ الثَّنَاءِ لاَ تَكْفِي يَا خَدِيجَةُ لِشُكْرِكِ لِهـذهِ العِنَايـةِ وَلِهَـذَا الاجتهاد ٠



وَشرَعَ العَمُّ سَالِمٌ فِى الحِرَاثَةِ . بينمـا تفَـرَّغتْ خدِيجَـةُ لابْنَيْهـا فأيْقظتْهُمَا منَ النَّوْم . وَغَسَلَتْ لهُمَا أطْرافهُمَا . وأعْطتْهُمَا فَطُورَ الصَّبَاحِ ثم شيَّعتْهُمَـا إلى المدرسةِ بَعْـدَ أنْ طَبعَتْ علَى جَبِينِ كُلٍّ مِنهُمَا قبْلَةً حارَّةً ثُمَّ أخذَتِ الصُّوفَ والمِغْزَلَ وذَهبتْ إلى الحقْلِ لتغْزِلَ ولِتَرْفِهَ على زَوْجِها . ولما انتهَى مِنْ حِراثـةِ الارضِ المَزْروعةِ قدَّمتْ له فطورَ الصَّبَاحِ وشَرعتْ هِى فى بَـذْرِ جُزْءٍ آخَرَ من الحقْـلِ و بمَجَرَّدِ انْتِهَائِه من طَعَامِـهِ اسْتَأْنَفَ عَمَلَهُ . وعَادَتْ هِى الى الغَزْلِ .



وانْتهى سَالِمٌ من الحراثةِ ، وعادَ محمودٌ وأختُه من المدرسةِ ، فاجْتمعَ أفرادُ الأسرةِ جميعًا على مائدةِ الغداءِ ، إنَّه طعامٌ شَهِيٌّ ، ألذُّ ما فِيهِ هَـذِهِ السَّعادةَ التى ترفرفُ على الاسْرَةِ ، وهَذَا الجوُّ المرِحَ الذِي ينْسى كُـلَّ حَزينٍ أحْزانَهُ . وبعدَ اسْترَاحَةٍ لمْ تدُمْ طَوِيلاً . عادَ سَالِمٌ إلى عمله . أمَّـا الأمّ فاهْتَمَّتْ بِمراجَعَةِ دُرُوسِ ابْنَيْهَا .

واستمرَّ العمُّ سَالِمٌ في الحرَاثَةِ أيّامًا ، وَوَاصلَتْ خديجةُ مُسَاعَدَتَها له بالبذْرِ • واهْتِمَامَها بابْنَيْها • ولم تَتْرُكْ فى نَفسِ الوقتِ عَمَلَها الذّى لا ينتهِي ولا يَنْقَطِع وهو الغَزْلُ •

وانتهى سالمٌ من الحراثةِ ، فانْكَبَّ على الحِيَاكَةِ خَفِيفًا نشِيطًا، اذْ ذهَبَتْ عنه اعْرَاضُ المرَضِ ، واستعـادَ قُوَّتَهُ ، وصار يتحصَّلُ على مَبَالِغَ هَامَّةٍ كُلّ أسبُوعٍ •

ورغْمَ انتقَالِهِ من حالـةِ العُسْرِ الى اليُسْرِ فإنَّهُ لمْ يجْنَحْ إلى الكَسَلِ ، ولم تَمِلْ خَدِيجَةُ الى الرَّاحَةِ ، بـلْ وَاصَلَ كُلٌّ مِنْهُمَا نَشَاطَهُ المألُوفَ •

وفى يومٍ منَ الأيّامِ بيْنمَا كان سالِمٌ يتفقَّدُ زرْعَهُ الـذّى تنشَرِحُ لمرآه الصّدورُ ، ويتأمَّلُ فى أغْنامهِ التى أصْبحتْ ثمانيَةً ، وقـد فاضَ قلْبُـهُ غِبْطةً وسُرورًا ، الْتَحَقَ به أفرادُ الأسْرةِ تبْدُو على وُجُوههِمْ عَـلاَمَـاتُ البِشْرِ • وقالتْ فاطِمَةُ وهْيَ تجْرِي نحْوَ أَبِيهَـا :

ـ لقد كانتْ رُتْبَتِى الأولَى فِى الإمتِحانِ يا أَبِي •

ثم قالَ مَحمُودٌ :

ـ أمّا أنـا فتحصّلْتُ على جائِزَةِ الفصْـلِ .

فشكَرَهُمَا الأَبُ ، وقبّلَهُمَا ، ووعدهُما بِاشْتِرَاءِ هدَايَـا لِكُـلٍّ منْهمَا . وقالت خديجةُ :

ـ سأُقدِّمُ لِكُلٍّ منْكمَـا جائزةً لنجَاحِكُمَا . فقال محمُودٌ :

ـ وما هِيَ هذهِ الجائزَةُ يا أمَّاهُ .

ـ ستعْرِفُهَا في الوقْتِ المنَاسِبِ .

ومنَ الغَدِ ذهَبَ سَالِمٌ إلى القَرْيَةِ واشْتَرَى لابْنَيهِ عِـدَّةَ كُتُبٍ ، وبَعْضَ اللّعَبِ ولما عَادَ إِلَى الدّارِ قدَّمَها لهُمَا ففرِحَا وقَـالاَ :

ـ شُكْرًا لَـكَ يَا أَبِى . وقَبَّلاَهُ .

ثم قَالَتْ فَاطمَـةَ :

ـ وأينَ هدِيَّتُـك يَـا أمَّـاهُ ، أَوَ نسِيت وَعْـدَك ؟

ـ وعْدَ الحرّ دينٌ يا ابْنَتِي .

ويومَ السّوقِ عنْدما همَّ سالِمٌ برُكُوبِ درّاجَتهِ النّارِيَّـةِ لِلذَّهَـابِ إلى القَرْيةِ ، قدّمتْ لهُ خديجَةُ حافظَةَ نقودٍ وقالتْ :

ـ اِفتَحْ حسابًـا في صُندُوقِ الادِّخارِ لِكُلٍّ منْ فَاطمةَ ومحمُودٍ .

ـ ومنْ أيْنَ هَذِهِ الأمـوَالُ ؟

ستعرفُ مَصْدَرَهَا .

وانطلقَ الزّوجُ إلى القريةِ ، وأخَذَتِ الزَّوْجَةُ تَكْنُسُ البيْدَرَ لِوَضْعِ الحصِيدِ ، إذ الزَّرْعُ قد تَهالَكَ بَعضُهُ على بعضٍ منَ اليَبْسِ .

وعادتْ فاطمةُ وأَخُوهَا منَ المدرسةِ قبْلَ إيَّابِ أَبِيهِمَا ، فانْتَظَرتِ



الأسْرةُ قدومَهُ لمشاركتهم الغَذَاءَ ، وها هو ذا قادِمٌ يَحْمِلُ هَدَايَا مُتَعَدِّدَةً ، فاسْتَبْشَرتِ الوُجُوهُ ، وفَرِحَتِ البُطُونُ وبَعْدَ تَسَلُّمِ الهَدَايَا والحلويَاتِ قالت فاطمةُ :

ـ لقد كَثُرَتْ هَدَايَاكَ يا أَبِي ، أما أمّي فلم نَرَ هديَّتَهَا المتوقِّعةَ حتّى الآنَ .

فأخْرجَ من جَيْبه دَفْتريْ مُسَاهمَةٍ في صُندوقِ الإدّخارِ وقال :

ـ هذهِ هديَّـةُ أُمِّكُمَـا •

فصَاحتْ فاطِمةُ بعدَ أَنْ تسلَّمتْ دَفْتَرَهَـا :

ـ إنّهُ دَفْترُ ادِّخارٍ ، لقدْ جاءَ فِي الوقْتِ المناسِبِ ، إذْ نحنُ الآنَ بصَدَدِ دراسَةِ الادِّخَارِ وفَوَائِـدِهِ ، وقـدْ رَغِبْتُ فى فَتْـح حِسَـابٍ بصُنـدُوقِ الإِدِّخارِ لأنَّنى تحقَّقْتُ منْ فوَائِـدِهِ الجَمَّةِ التّى ستعودُ على اقتصادِ الوطنِ وعليَّ أنَا • فشُكْرًا لكِ يا أمَّاهُ • وسأعملُ علَى تنْميَةِ مبْلغهِ بِاسْتمرَارٍ •

وتأمَّـلَ محمودٌ فى المبْلَغِ فإذَا هوَ خَمْسَةٌ وسَبْعُونَ دينارًا • فقال :

ـ ستصْبحُ بِحَوْلِ اللّهِ بعْدَ سنواتٍ أضْعَافًا مُضَاعَفَةً •

وقالتِ الأمُّ :

ـ وما رأْيكُمَا فى الهدِيَّـةِ ؟

فقالت فاطمـةُ :

ـ إنَّها لَهديَّةٌ غاليةٌ • ولتَربيَّةٌ فَذَّةٌ •

وبعد حديثٍ فَكِهٍ اسْتمرَّ طَويلاً فى جَـوٍّ مِلْؤُهُ الصَّفَـاءُ والمـوَدَّةُ قالت خديجةُ مخاطبةً زوْجَهَـا :

ـ سنَشْرعُ فى الحصَادِ غـدًا •

وبعـد الحَصَادِ والدَّرْسِ تحصَّلَ العمُّ سالمٌ على انتاجٍ وافرٍ جَيِّدٍ ، فَباعَ منْه الكثيرَ ، ولم يَبْقَ إلاَّ قوتَ عِيَالِهِ، واشْتَرَى بالثَّمَـنِ الثمين أغْنامـًا ،

فأصْبَحَ لـه قطِيعٌ كبيرُ العـددِ يحرِسُهُ رَاعٍ ٠

وبعد سنواتٍ منَ العملِ المتواصلِ ، تحولت حالةُ الأسرةِ من اليسرِ الى الثَّراءِ فَبنتْ دارًا عصرِيَّةً ٠ وأثثتها بالأثاث الضَّخم ، ورغم كـلِّ ذلـك فان سالما لم يترك الشُّغْلَ ، ولم تَزْهَـدْ خديجـةُ فى العمـلِ ، ونجحت فاطمـةُ فى تعليمهـا الثـانـوى وأصبحت مُعلِّمةً فى مدرسةِ القريةِ ، أما محمودٌ فهو يواصلُ تعلُّمَهُ بالجامِعَةِ ، إنه طالبٌ بِكُليّـةِ الهندسةِ ، يريـد أن يُصبحَ مُهنْدسًا فلاحيًّـا لِيعْتنِيَ بأرْضِهِ وحيوانَاتـهِ اعتنَـاءً عِلميًّـا عَصْرِيًّـا ٠

وبعد دراسةٍ ناجحـةٍ تخرّجَ مُهنْدسًا بملاحظةِ حَسَنٍ ٠ وأرادَ اشْترَاء آلاتٍ فلاحيةٍ عصريةٍ بَاهِضَةِ الثَّمنِ ٠ فقال لِوَالِـدِه :

ـ لعـلَّ الأمـوَالَ التِّى نمْلكُهَا لا تَكْفِى لشراءِ هذهِ الآلاتِ ؟

ـ يُمكِنُ أن نَبيعَ بعضَ الأغْنامِ و نشْترِيَ بثَمنِهَا آلاتٍ .

فقالتِ الأمّ :

ـ عندنَا من المالِ ما يكْفِى لشرَاءِ هذهِ الآلاتِ وغيرِهَـا ٠

ـ وأيْن هذَا المالَ يا أمَّـاهُ ؟

ـ هاتِ دِفْتَرَ ادّخَارِكَ ٠ ونـادِ فاطمةَ لتسَلّمنا دفتَرَ ادخَارِهَـا ٠

وانظر لعلَّ المالَ يَكفِى عِنْدَئِـذٍ ٠

فقالَ بعْـد أن أجرَى عَمَلِيَّـةً حِسَابِيـة :

ـ مَازِلْنَا فى حاجةٍ إِلَى قليلٍ منَ المَالِ .

فقامتِ الأمَّ منْ مكانِهَا وَعادَتْ وفِي يَدِهَا حافظةَ نُقُودٍ كبِيرةٍ وقالتْ :

ـ عُدَّ هذَا المبلَغَ فلعلَّـهُ يُكْمِـلَ النَّقْصَ .

وبيْنمَا كانَ محمودٌ يعدُّ الأموَالَ . قال سَالِمٌ:

ـ ومتى جمعْتِ هَـذهِ الأمـوَالَ وكيْفَ ؟

فروتْ لهُمْ خَديجَةُ ما كانتْ تفعَلُهُ زمنَ مَرضِ زوجِهَا. وعُسْرِ أُسْرَتِهَا. وكيْـف اشْتَرَتِ النَّعجَـاتِ التِى ادّعتْ أنَّ أحدَ الجيرانِ قدْ تصدَّقَ بهَـا عليْهِمْ ، وكيْفَ وفَّرتِ البِذَارَ الذِى تَظاهرتْ بِأنَّها اقْترضَتْهُ منْ جَارِهَا. وكيفَ واصلتِ العمـلَ مع ادّخَـارِهَا للمَالِ كُلَّما سمحتْ لهَا فُرْصة ، وما كادتْ تنتهى مـن كَلَامهَـا حتّى اجْتمعَ حوْلها ابْنُها وابْنتُها وزوْجُهـا وأشبَعُوها تقْبيلاً ومدْحًا وثناءً ثمَّ قال محمـودٌ :

واللَّهِ إنّكِ لأفْضلُ أمٍّ فِي الدُّنْيا .

وقالتْ فاطمـةُ :

ـ لِمَ لاَ ولن تُوجَدَ امرأةٌ تضاهِيكِ فى صِفَةٍ من صِفَاتِكِ أوْ فِى عَمَلٍ من أعْمَالِك فأبْقاكِ اللّهَ لنَا ذُخْرًا .

وقال الـزَّوْجُ :

ـ إنَّ مِثيلَاتِك قلِيــلَاتٌ ، إن لمْ أَقُلْ غيْرَ مَوْجُودَاتٍ .

فقدْ تعَهدْتنِي مَريضًا . ورعيْتنِي صَحيحًا ، واللَّهِ لولاكِ لما تحقَّق شيْءٌ مِمَّا صِرْنَا نَتمتَّع به الآنَ ، أَلمْ تُبــدِّلي أَلمي فَرحًا، ويأسِي رجاءً ، وعُسْرِي يُسرًا ، ألم تُساعِــدِي على نجاح فَلْذَتَيْ كَبِدَيْنَا، فباركَ اللَّهُ فِيكِ وصَدقَ مــن قــال :

الأمُّ مــدرســةٌ إذا أعْــدَدْتَهــا   أَعْــدَدْتَ شَعْبــًا طَيِّبَ الأَعْرَاقِ .

سحب من هذا الكتاب 3150 نسخة
في طبعته الثالثة

شركة أوربيس للطباعة والنشر . تونس .

الهاتف 700 501

الرقم الآلي

1	81	00	146	03	93

ISBN : 9973 - 073- 6

الثمن : 1.500 د.ت